قصائد

. قيس مصطفى .

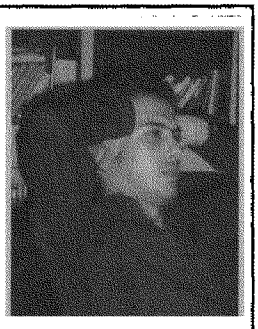

قيس مصطفى

شاعر فلسطينيّ مقيم في سوريا.

صلاة البحيرة

توما

توما

يومًا ما ستعودُ إلى البحيْرةِ التي وقفتَ عليها

مع أحدَ عشرَ رجلاً يستعدُّون للمضيِّ في أصقاعِ الأرض،

وستسعفُني لنحدّثَ امرأةً عن بحيرةٍ أحببناها معًا ـ

قبّلتني على شفتيَّ،

ووضعتْ رأسها على ركبتيَّ.

سنحدّثها عن بحيرةٍ شربتْنا بكأس الحنين:

أنتَ من ألفيْ سنة وعشر سنوات وسنة،

وأنا قبل فكرةِ الله والماء

ومقتلة.

ـ سنعودُ يا توما

إلى طبريّا

...

توما

توما

قلْ لي: ماذا أحسستَ وأنت تضعُ إصبعَك

مكانَ المسمار؟

أخبرني بما اعتراك حين

ودّعتَ الرّفاق الذين سينهمكون بإحياء الموتى

واسترجاعِ الأرواح المنفلتة من عقالها؟

ـ أعطني إصبعك

لأتبعك.

...

توما

توما

ربما لن تعرف شيئًا

عن عقلٍ يعمل بالكهرباء،

ولا عن خاصرةٍ مكشوفةٍ في صورة فوتوغرافيّة

لامرأة ترتدي جينزًا فاتحَ اللون.

ومن العبث أن أحدّثك عن المشروبات السريعة المعلّبة.

لكنك ستفهم معنى أن تموت روحي دونها.

وهذا ما سيحتاج لمسةً من يديك

تحت ضوء الشمس.

ـ هي بنتٌ مذبحة

وأنا ابنٌ مذبحة.

...

توما

توما

جلسنا وحيدين على صخرةٍ تُشْرف على نبعة

وأمالت رأسَها زهاءَ نسمتين

وطلبتْ مني أن أقبّلها فامتثلتُ.

ثم ضممتُها وبدّدتُ غيمةً في عينها.

ـ قل لي:

كيف أستعيد لحظةً هاربة؟

...

توما

توما

ومضيتُ بها إلى غرفةٍ بلا أيقوناتٍ تُذْكر

وغرقتُ في دمها

فأعِدْها عذراءَ من غير سوء

كي أغرقَ مرةً أخرى

في جنّةٍ مشتعلة.

...

توما

توما

وأنا حملتُها عندما ثملتْ

في ظلام المخيّم

وغسلتُ أضلاعَها غصنًا غصنًا

وأخذتُها إلى كرمةٍ وقتَ الحصاد

فأخذتني، حين ثملتُ، إلى شوكها

ومقصلة.

مسوّدة ثوريّة

سأطيلُ شَعري

مرةً أخرى،

وألبسُ البذلةَ العسكريّة،

وأتصوّر

وفي فمي سيجارةٌ حمراءُ طويلة

تشجيعًا للصناعة المحليّة ولأنّ السيجار غالٍ.

وسألبسُ صندلاً

وعلى خصري سكّينٌ تُطوى بستّ حركات

وتُفرد بستّ حركات.

وفي جيب بنطالي

زجاجةٌ من الروم

أو عرق الريّان ـ لا فرق.

وعلى رأسي بيريه عسكريّة

حمراءُ طبعًا،

وفي مقدّمتها نسرُ الجمهوريّة.

وربما سأذهب بكوفيّةٍ

أبي عمّار.

المهمّ أني سأذهب ملثّمًا

كالطوارق،

وخصلاتُ شعري تصل الأرض،

خارجًا من كهف البروليتاريا الرثّة

إلى جنّة الطليعة الثوريّة.

سيكون لي أبناءٌ غيرُ شرعيين

من نساءٍ عديدات

في قرى الجبال الوعرة،

أسوةً بكلّ الرفاق.

وسأقاتل

بالسلاح الأبيض

لأصير رمزًا ككلّ الرموز العالية.

أؤكّد لكم يا رفاقُ أنيّ

مؤمنٌ بالعنف الثوريّ،

وأكره الثوراتِ البرتقاليّةَ الناعمة

أو تلك الأشياءَ التي يسمّونها

تظاهرًا في الساحات.

هل تعرف وديع حدّاد يا رفيق؟

قال يومًا: «وراء العدوّ في كلّ مكان!»

هل تعرف جورج حبش
وغسّان كنفاني وناجي العلي؟
هل تعرف؟
هل تعرف؟

يا رفاق

موبايلي عطلان لأنه وقع في مغسلة الفودكا.
كنتُ أقرأ صحيفة **برافدا** وقتها
التي هي مثل مجلة **الحريّة** أو **الهدف**.
استيقظتُ باكرًا،
وحيّيتُ الرفيق ستالين.
في الصباح وأنا أتوسّد الأرضَ
وعلى المنضدة بندقيتي،
كنتُ أخطّطُ لحبِّ امرأةٍ تسكن في دمشق
أو في كاراكاس
أو برلين ما بعد هتلر،
وستحبّني الألمانيّةُ لتثبتَ لي
موتَ النازيّة
وانتفاءَ التمييز العنصريّ في بلادها.
شعري الذي قصصتُه
سيطول كثيرًا ـ
أقسمُ على ذلك.
وسأكون ثوريّاً في الشكل
وفي المضمون.
وسأكون مستعدّاً دائمًا،
مثل الڤيتكونغ.
أعتقد أنّ الماركسيّة اللينينيّة
كالماركسيّة الماويّة ـ
فأنا ضدّ اقتتال الإخوة.
كما أنّي أؤيّد فكرة «الحرب المفتوحة»
حتى لو لم يريدوها حربًا مفتوحة.
في طفولتي كنتُ معجبًا بصواريخ الكاتيوشا،
ومغرمًا بالكلاشينكوف.
ومازلت معجبًا بصواريخ الكاتيوشا
ومغرمًا بالكلاشينكوف.
لستُ شيوعيّاً،
ولكني أؤمن بالعدالة والحريّة.
ولذلك
أرجووووووووووك
ضُمّني إلى جنودك يا أرنستو.

صوتكِ والحريّة

لازمة موسيقيّة لا يستطيعُها إلا تجريحُ الكمنجات.
لازمة أعود إليها عند كلّ هوان:
صوتك والحريّة!
ضدّان مترادفان:
صوتُك الذي لا يملّ شدَّ السلاسل من حولي
هو ذاتُه الذي يمنحني الحريّةَ الكاملةَ في الطيران!
صوتك والحريّة
نهايةٌ واحدةٌ تحتمل طريقين:
حبًا أعلنُه جهرًا على وقع رصاص،
أو موتًا صامتًا.

دمشق